العتبة العباسية المقدسة

الخميس

أسبوعية ثقافية

السنة السادسة
العدد ٢٩٧

تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية
وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

محرم ١٤٣٢ الخميس ٩ كانون الأول ٢٠١٠م

كلمة حق

لقد كان خروج الحسين عليه السلام، رفضا للاغتيال خلسه وصمتا، وسعيا الى القتل شاهدا شهيدا فى واقعة لا بد من تسجيلها فى القلوب.. حتى القلوب الميتة تعجز عن مداراتها، ذلك الاموى الذى روى كل تفاصيل الواقعة كارها كان شاهدا رغم أنفه، وحاول أن يتنصل وحاول أن يتمسح بتكذيب بعض تفاصيل لن تغير شيئا.

كان الجميع شاهدا على عظمه أبي عبدالله الحسين وعلى عظمه أهل البيت سواء المحبون أم الكارهون، وهكذا تحقق للحسين عليه السلام ما أراد وخسر بنو أميه ومن مهدوا لهم ومن ساروا على دربهم.. خسروا معركه الشرعية بشكل نهائي، تلك الغلالة الرقيقة من التمسح بالدين زورا وبهتانا سقطت وتمزقت، كان معاوية يرفع شعار الثأر للخليفة المظلوم وقد موه بذلك على البسطاء، أما الان فان النظام الاموي أسفر عن وجهه الكئيب، وها هو يزيدهم يعريهم وينادي أئمة الكفر من آبائه (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم)«الحج/١٩» عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة الذين أرسلوا الى النار بسيف الإمام علي عليه السلام ليشهدوا ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

وها هي واقعة رواها كل أصحاب التواريخ بلا إستثناء حتى ابن كثير الاموي، لقد علم الحسين عليه السلام كل البشر درسا في الادراك الواعي للهدف والسعي الى تحقيقه مهما كانت التضحيات.هكذا سقطت مرة واحدة والى الأبد كل اقنعة الإسلام الكهنوتي، وتبلور الصراع بين الحق والباطل ليصبح بين الحسين عليه السلام ويزيد.

الإسراف والتبذير

لقد ذم الله تعالى البخل كما ذم الإسراف والتبذير، و مدح التوسط بينها ، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ الإسراء/٢٩ ،و قال تعالى في ذم الإسراف : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف/٣١ ،و قال أيضًا: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾الأنعام/١٤١ ، وقال تعالى في ذم المبذرين ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾الإسراء/٢٦، ٢٧ . وقد وردت أحاديث عديد ذمت الإسراف والتبذير، فمنها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله :﴿إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خيرًا فقههم في الدين، ورزقهم الرفق في معايشهم، والقصد في شأنهم ،ووقَّرَ صغيرهم كبيرهم وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملاً﴾.

وجاء في كتاب نهج البلاغة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب كتاب لزياد جاء فيه :

فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً وَ اُذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً وَ أَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَ قَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ ، أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَ أَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَ تَطْمَعُ وَ أَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَ الْأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَ إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَ قَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ وَ السَّلَامُ.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أنّه قال: ﴿ إن الله إذا أراد بعبد خيرًا ، ألهمه الاقتصاد ، وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير، والإسراف « . وقال عليه السلام أيضًا: « سبب الفقر الإسراف ﴾ .

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (إن القصد أمر يحبه الله عز وجل وإن السرف يبغضه حتى طرحك النواة فإنها تصلح لشيء ، وحتى صبك فضل شرابك).

هذا وسنذكر في العدد القادم المزيد من الروايات التي تذم الإسراف والتبذير، وتمدح حسن التدبير.

شرح خطبة الامام السجاد عليه السلام في الشام

الحلقة الثانية

بعد أن ذكرنا مقدمة عن خطبة السجاد عليه السلام في دمشق وذكرنا بداية الخطبة وصلنا الى قوله عليه السلام والمحبة في قلوب المؤمنين إعلم عزيزي القارئ أن المحبة في قلوب المؤمنين لاتكون بأي وسيلة كانت سوى أن الله يزرع هذه المحبة وهذه المحبة هي محبة خاصة وهي محبة المؤمنين أي شيعة اهل البيت عليهم السلام فانك لو أحببت شخصاً ما يجب ان تكون قد رايته على الاقل او سمعت عنه ممن رآه أما أن تحب اشخاص قد مضى على أستشهادهم أكثر من الف سنة فهذا لايمكن الإ بان يزرع الله عز وجل في قلبك تلك المحبة وكذا يقول الامام عليه السلام وفضلنا بأن منا النبي المختار محمد صلى الله عليه وآله ، طبعا هذا امر لا يمكن ان ينكره احد من المسلمين لأن الرسول الاكرم من البيت الهاشمي من قريش وهذا ما كان يتباهى به العرب وكانوا يحاولون أن يدخل بعض منهم مع قريش لأنهم اشرف العرب ومحمد صلى الله عليه وآله من اشرف بيت في قريش ويقول ومنا الصديق ،أي يقول منا علي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب روي ان عبد الله بن سلام عندما قدم لأن يسلم عند رسول الله قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما اسم علي فيكم فقال له النبي صلى الله عليه وآله علي عندنا الصديق الأكبر فقال عبد الله أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و إنا لنجد في التوراة محمد نبي الرحمة و علي مقيم الحجة

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أنا عبدالله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الاكبر ، لايقولها بعدى الاكذاب مفتري ، صليت قبل الناس بسبع سنين) ويقول الإمام عليه السلام ومنا الطيار ، وهو جعفر بن ابي طالب

حيث قال في حقه رسول الله حين قطعت يداه واستشهد في معركة مؤتة قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة » ومنا أسد الله وأسد رسوله وهو حمزة بن عبد المطلب فقد روى ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما في القيامة راكب غيرنا نحن أربعة، فقال له عمه العباس: ومن هم يا رسول الله ؟..... قال: وعمي حمزة أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء على ناقتي العضباء، ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول وهي وبلا شك فاطمة الزهراء عليها السلام و ذكر الفتال الشهيد في روضة الواعظين أن الرسول صلى الله عليه وآله سئل ما البتول فانا سمعناك تقول أن مريم بتول ، وان فاطمة بتول فقال : البتول التي لم تر حمرة قط ولم تحض فان الحيض مكروه في بنات الانبياء.، ومنا سبطا هذه الأمة ، وسيد شباب أهل الجنة فقد قال صلى الله عليه وآله سبطي خير الاسباط : الحسن والحسين سبطا هذه الامة، وأراد للامام بهذا المقطع من الخطبة ان يبين للناس من هم أهل البيت أولا ومن ثم يبين من الذي حاربهم يزيد وقتلهم جميعا ومن ثم أراد أن يبين من هم حملة الرسالة الحقيقيون ومن ثم يبين للناس من هو لأن الإمام الحسين عليه السلام كان جميع اولاده أسمهم علي فكانوا يظنون أنه لايوجد من الاولاد لديه الا علي الاكبر وقد استشهد بالمعركة ولذا قال ، فمن عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي ، انا ابن مكة ومنى انا ابن زمزم والصفا أي انا من قريش أنا ابن من حمل الركن باطراف الرداء أي ابن محمد الذي حمل الحجر الاسود باطراف عبائته الشريفة دون باقي قريش الذين حملوا الرداء وليس الحجر أنا ابن خير من ائتزر وارتدى ، انا ابن من انتعل واحتفى ، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير مَنْ حجَ ولبَى . أي ابن خير انسان في كل الظروف إذا كان منتعل أي في الاسواق وفي حياته اليومية واحتفى أي اثناء الصلاة فانه لا يوجد افضل من رسول الله محمد صلى الله عليه وآله في عبادته ، انا ابن من حمل على البراق البراق دابة نحو البغل كان يركبها الرسول صلى الله عليه وآله عند العروجه الى السماء .

يتبع في العدد القادم

(أهل الكوفة فيها السني و الخارجي و الناصبي و ذو الديانات المختلفة و غيرهم من الطوائف).

المصدر: مقتل الحسين لابن مخنف صفحة ٢٧ يوضح ان الذين كاتبوه من عدة طوائف و اغلبهم سنة و نواصب و خوارج.

النص: ثم نزل فاخذ العرفاء والناس (اي عبيد الله لعنه الله) أخذا شديدا فقال: اكتبوا إلى الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحدا فيضمن لنا ما في عرافته الا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه،

اما الشيعة الذين بايعوه (وهم قلة في الكوفة بسبب القتل و سفك الدماء في عهد معاوية) تم قتلهم و سفك دمائهم و سجنهم و بني جسر حتى لا يصلوا الى الامام الحسين عليه السلام :

المصدر: الملهوف على قتلى الطفوف - ص ١٣٤ (دقق على قوله : قتلوا مسلم و شيعته)

النص :أن الحسين ﷺ سار قاصداً لما دعاه الله إليه ، فلقيه الفرزدق ، فسلم عليه وقال : يابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته ؟

المصدر: مقتل الحسين لابن مخنف وفي صفحة ٣٠

النص: فقال عبدالله: يا هاني اما تعلم ان ابي قدم هذا البلد (اي الكوفة) فلم يترك احدا من هذه الشيعة الا قتله غير ابيك وغير حجر، وكان مع حجر ما قد علمت، ثم لم يزل يحسن صحبتك..إلخ

المصدر: منتهى الامال لشيخ عباس القمي - ص ١٨٦ في ترجمة الامام الحسن ﷺ.

النص: حتى أرسل معاوية جيشا جرّارا نحو العراق ، وارسل جواسيسا الى الكوفة من المنافقين والخوارج الذين كانت طاعتهم لأمير المؤمنين ﷺ خوفا على أنفسهم ورهبة من سيفه كعمر بن حريث ، والأشعث بن قيس ، وشبث بن ربعي وامثالهم من المنافقين الخونة .

فكتب معاوية الى كل واحد من هؤلاء : انَك لو قتلت الحسن اعطيك (٢٠٠) الف درهم ، وأزوّجك احدى بناتي ، وأجعلك أميرا على جيش من جيوش الشام فأغرى كثيرا من المنافقين بهذه الحيل ، وجعل قلوبهم تهوى إليه ولا تريد الحسن ﷺ وتنفر منه ، حتى ان الامام ﷺ أصيب بسهم من أحد هؤلاء الخوارج لكنه سلم منه .

وكانوا يكتبون الرسائل الى معاوية خفيةً.

المصدر: كتاب « صلح الحسن ﷺ » ::: المؤلف « الأمام المُجاهد الشيخ راضى آل ياسين »

النص: وهكذا فتَّ في أعضاد كوفة الحسن تقلّب الهوى وتوزّع الرأي وتداعي الخلق وتوقح الخصومة في الكثير الكثير من أهلها.

من الممكن أن يقال: أن السيدة فاطمة الزهراء الزاهدة عن الدنيا وزخارفها، والتي كانت بمعزل عن الدنيا ومغريات الحياة ما الذي دعاها إلى هذه النهضة وإلى هذا السعي المتواصل والجهود المستمرة في طلب حقوقها؟

وما سبب هذا الإصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأراضي والنخيل مع ما كانت تتمتع به السيدة فاطمة من علوّ النفس وسمو المقام؟

وما الداعي إلى طلب الدنيا التي كانت أزهد عندهم من عفطة عنز وأحقر من عظم خنزير في فم مجذوم، وأهون من جناح بعوضة؟

وما الدافع بسيدة نساء العالمين أن تتكلّف هذا التكليف، وتتجشّم هذه الصعوبات المجهدة للمطالبة بأراضيها وهي تعلم أن مساعيها تبوء بالفشل وأنها لا تستطيع التغلب على الموقف، ولا تتمكن من انتزاع تلك الأراضي من المغتصبين؟.

هذه تصورات يمكن أن تتبادر إلى الأذهان حول الموضوع.

أولاً: إن السلطة حينما صادرت أموال السيدة فاطمة الزهراء وجعلتها في ميزانية الدولة (بالاصطلاح الحديث) كان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت، أرادوا أن يحاربوا علياً محاربة اقتصادية، أرادوا أن يكون عليّ فقيراً حتى لا يلتف الناس حوله، ولا يكون له شأن على الصعيد الاقتصادي، وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قالوا: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا من حوله.

ثانيا: لم تكن أراضي فدك قليلة الإنتاج، ضئيلة الغلات بل كان لها وارد كثير يعبأ به، بل ذكر ابن أبي الحديد أن نخيلها كانت مثل نخيل الكوفة في زمان ابن أبي الحديد.

وذكر الشيخ المجلسي عن كشف المحجة أن وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة، وفي رواية أخرى سبعين ألف دينار ولعل هذا الاختلاف في واردها حسب اختلافهم السنين.

وعلى كل تقدير فهذه ثروة طائلة واسعة، لا يصح التغاضي عنها.

ثالثاً: إنها كانت تطالب (من وراء المطالبة بفدك) بالخلافة والسلطة لزوجها علي بن أبي طالب، تلك السلطة العامة والولاية الكبرى التي كانت لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه قال: سألت عليّ بن الفارقي، مدرّس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته قال: لو أعطاها اليوم فدك، بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار، والموافقة بشيء، لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدّعي، كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة وشهود.

رابعاً: الحق يُطلب ولا يُعطى، فلا بد للإنسان المغصوب منه ماله أن يطالب بحقه، لأنه حقه، حتى وإن كان مستغنياً عن ذلك المال وزاهداً فيه، وذلك لا ينافي الزهد وترك الدنيا، ولا ينبغي السكوت عن الحق.

خامساً: إن الإنسان وإن كان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة فإنه مع ذلك يحتاج إلى المال ليصلح به شأنه، ويحفظ به ماء وجهه ويصل به رحمه، ويصرفه في سبيل الله كما تقتضيه الحكمة.

أما ترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أزهد الزهاد كيف انتفع بأموال خديجة في سبيل تقوية الإسلام؟ كما مرَّ كلامه صلى الله عليه وآله وسلم حول أموال خديجة في ص٣٩.

سادساً: قد تقتضي الحكمة أن يطالب الإنسان بحقه المغصوب، فإن الأمر لا يخلو من أحد وجهين:

إما أن يفوز الإنسان ويظفر بما يريد وهو المطلوب وبه يتحقق هدفه من المطالبة.

وإما أن لا يفوز في مطالبته فلن يظفر بالمال، فهو إذ ذاك قد أبدى ظلامته، وأعلن للناس أنه مظلوم، وأن أمواله غصبت منه.

هذا وخاصة إذا كان الغاصب ممن يدّعي الصلاح والفلاح، ويتظاهر بالديانة والتقوى، فإن المظلوم يعرّفه للأجيال أنه غير صادق فيما يدّعي.

سابعاً: إن حملة المبادئ يتشبثون بشتى الوسائل الصحيحة لجلب القلوب إليهم، فهناك من يجلب القلوب بالمال أو بالأخلاق أو بالوعود وأشباه ذلك.

ولكن أفضل الوسائل لجلب القلوب (قلوب كافة الطبقات) هو التظلّم وإظهار المظلومية فإن القلوب تعطف على المظلوم كائناً من كان، وتشمئز من الظالم كائناً من كان.

وهذه خطة ناجحة وناجعة لتحقيق أهداف حملة المبادئ الذين يريدون إيجاد الوعي في النفوس عن طريق جلب القلوب إليهم.

حاولت بعض المؤسسات الاعلامية تبني موضوع التواجد الشيعي في تونس ومعاملته ضمن معالجات سياسية ترتكز على تزييف المعلومة .. بينما قراءة واعية لمعالم تونس ستمنحنا الكثير من الموازنات المدروسة ،

تونس تعتنق المذهب المالكي مع وجود الاباضية الخوارج ووجود الشيعة الاثنى عشرية وتنتشر فيها الصوفية .. وعلينا ان نعرف ان للتشيع في تونس جذور قديمة ... اغلب الدراسات اشارت الى اربعة مراحل تكفلت وجود المد الشيعي .. معتبرين اولى المراحل هي الشيعة البرابرة سكان تونس الاصليين الموالين لأهل البيت عليهم السلام تم تصفيتهم بعد واقعة كربلاء على يد الامويين ثم تأتي مرحلة الدولة الفاطمية والدولة الفاطمية ليست شيعية امامية بل هي اسماعيلية باطنية والمرحلة الثالثة ستينيات القرن المنصرم حيث شهدت يقظة المذهب الامامي والمر حلة الرابعة التشيع الحديث ... وقادة الشيعة في تونس كل له رأي تكويني فالدكتور محمد التيجاني يرى انهم لايمارسون اي نشاط سياسي لايملكون الى اليوم صحيفة تمثل وجودهم ولايوجد حسينية تكون لهم مقرا معلوما فقد خصص الدور القيادي عند معنى كشف الحقيقة بينما ينادي السيد عماد الدين الحمروني بالدور الوطني الذي ساهم الشيعة في صنعه ويطالب بحركة للوفاق الوطني .. تبرز ظاهرة الخشية من التشيع والذي يسمى الاستبصار بعدما شكل ظاهرة مليونية تنبأ بتقدم اكبر وهذه الخشية تصاغ بهيئة وساوس تدس اعلاميا لتحيد هذه الظاهرة الى رؤية سياسية ...كما ترى هذه المؤسسات ان اقتران ظهور التشيع بظهور شخصييات شيعية امتلكت تأثيرا انسانيا حضاريا وحضور الوعي ، يقول الحاج محمد التيجاني السماوي ان السلطة قد منحتهم حرية العقيدة وهم لايتدخلون في الشأن السياسي وأكد ان لاوجود لأي تعصب ديني ... بينما ورد في مذكرات السيد محمد الرصافي انه اعتقل عدة مرات وطرد من الوظيفة وان الشيعة في تونس تعرضوا للكثير من المضايقات وهناك مسألة مهمة اثارها قادة التشيع في تونس هو رفضهم لأن يكون التشيع صناعة خارجية واكد الجميع على وطنية الشيعة التونسيين .. فنحن نجد ان لابد ان يكلل هذا الجهد المؤمن بمقر يجمع متطلباتهم كمسجد او حسينية ومن ثم لابد من موقع وجريدة وفضائية ومؤسسة اعلامية تسخر لخدمتهم سعيا لكشف الحقيقة ... ونجد ان افضل ما تتمتع به تونس هي الطبيعة التونسية المنفتحة وهي تمتلك قدرة التعايش بصرف النظر عن اختلافات المعتقد وهناك من يرى ان مسألة الحرية المتاحة من قبل السلطة او ما تسميه بالسكوت الرسمي عن تنامي الشيعة في تونس يعتبر فعل سياسي حكومي والمقصود ارضاء دول الجيران من الشيعة لكن نجد ان الانتشار الشيعي هو رهين الوعي الثقافي ...

هنيئاً لك الحج

احمد السيلاوي

بعد انتهاء مراسم الحج وانفضاض الحجيج كل في حال سبيله اكتض المطار بالحجاج العائدين الى بلادهم وهم ينتظرون طائراتهم لتقلهم الى الديار، جلس سعيد على الكرسي وبجانبه حاج اخر فسلم الرجلان على بعضهما وتعارفا وتجاذبا اطراف الحديث حتى قال الرجل الاخر : والله يا أخ سعيد اشكر الله عز وجل على ان وفقني للحج وحكى الرجل لسعيد كيف توفق للحج وعندهااومأسعيد برأسه وقال : حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا ان شاء الله .

ابتسم الرجل وقال : اجمعين يارب وانت يا أخ سعيد هل لحجك قصة خاصة؟

اجاب سعيد بعد تردد : - والله يا أخي هي قصة طويلة ولا اريد ان اوجع رأسك بها ضحك الرجل وقال : بالله عليك هلا اخبرتني فكما ترى نحن لانفعل شيئا سوى الانتظار هنا .

ضحك سعيد وقال : نعم، الانتظار وهو ما تبدأ به قصتي فقد انتظرت سنينا طويلة حتى احج فأنا اعمل منذ ان تخرجت معالجا فيزيائيا قبل ٣٠ سنة وقاربت على التقاعد وزوجت ابنائي وارتاح بالي ثم قررت بما تبقى من مدخراتي البسيطة أداء فريضة الحج هذا العام فكما تعرف لايضمن احد ماتبقى من عمره وهذه فريضة واجبة .

اكمل سعيد : صدقت ، وفي نفس اليوم الذي كنت اعتزم فيه الذهاب الى متعهد الحج بعد انتهاء الدوام وسحبت لهذا الغرض كل النقود من حسابي، صادفت احدى الامهات التي يتعالج ابنها المشلول في المستشفى الخاص الذي اعمل به وقد كسا وجهها الهم والغم وقالت لي استودعك الله يا اخ سعيد فهذه اخر زيارة لنا لهذا المستشفى ، استغربت كلامها وحسبت انها غير راضية عن علاجي لابنها وتفكر في نقله لمكان اخر فقالت لي لا يا أخ سعيد يشهد الله انك كنت لابني احن من الاب وقد ساعده علاجك كثيرا بعد ان كنا قد فقدنا الامل به .اسغرب الرجل وقاطع سعيد قائلا : غريبة ، طيب اذا كانت راضية عن ادائك وابنها يتحسن فلم تركت العلاج ؟

اجابه سعيد : - هذا ما فكرت به وشغل بالي فذهب الى الادارة وسالت المحاسب عن سبب ماحدث وان كان بسبب قصور مني فاجابني المحاسب بان لاعلاقة لي بالموضوع ولكن زوج المرأة قد فقد وظيفته واصبح الحال صعبا جدا على العائلة ولم تعد تستطيع دفع تكاليف العلاج الطبيعي فقررت ايقافه .

حزن الرجل وقال : لاحول ولا قوة الا بالله ، مسكينة هذه المرأة فكثير من الناس فقدت وظائفها بسبب ازمة الاقتصاد الاخيرة ، وكيف تصرفت يا اخ سعيد ؟.

اجاب سعيد : ذهبت الى المدير ورجوته ان يستمر بعلاج الصبي على نفقة المستشفى ولكنه رفض رفضا قاطعا وقال لي ان هذه مؤسسة خاصة تريد الربح وليست مؤسسة خيرية للفقراء والمساكين ومن لايستطيع الدفع فهو ليس بحاجة للعلاج .

خرجت من عند المدير حزينا على المرأة وابنها خصوصا ان الصبي قد بدأ يتحسن وايقاف العلاج معناه إنتكاسة تعيده الى نقطة الصفر ، وفجأة وضعت يدي لا راديا على جيبي الذي فيه نقود الحج ، فتسمرت في مكاني لحظة ثم رفعت رأسي الى السماء وخاطبت ربي قائلا : اللهم انت تعلم بمكنون نفسي وتعلم ان ليس احب الى قلبي من حج بيتك وزيارة مسجد نبيك وقد سعيت لذلك طوال عمري وعددت لاجل ذلك الدقائق والثواني ولكني مضطر لان اخلف ميعادي معك فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم .وذهبت الى المحاسب ودفعت كل مامعي له عن اجرة علاج الصبي لستة اشهر مقدما .

ادمعت عين الرجل : بارك الله بك واكثر من امثالك، ولكن اذا كنت قد تبرعت بمالك كله فكيف حججت اذا ؟

قال سعيد ضاحكا :- اراك تستعجل النهاية ، هل مللت من حديثي ؟ اسمع ياسيدي بقية القصة ، رجعت يومها الى بيتي حزينا على ضياع فرصة عمري في الحج وفرح لأني فرجت كربة المرأة وابنها ونمت ليلتها ودمعتي على خدي فرأيت نفسي في المنام وانا اطوف حول الكعبة والناس يسلمون علي ويقولون لي حجا مبرورا ياحاج سعيد فقد حججت في السماء قبل ان تحج على الارض ، دعواتك لنا ياحاج سعيد ، حتى استيقظت من النوم وانا احس بسعادة غير طبيعية على الرغم من أني كنت شبه متاكد اني لن اتشرف يوما بلقب حاج ، فحمدت الله على كل شيئ ورضيت بأمره . وما ان نهضت من النوم حتى رن الهاتف وكان مدير المستشفى الذي قال لي : - ياسعيد أنجدني فأحد كبار رجال الاعمال يريد الذهاب الى الحج هذا العام وهو لايذهب دون معالجه الخاص الذي يقوم على رعايته وتلبية حاجاته، ومعالجه زوجته في ايام حملها الاخيرة ولا يستطيع تركها فهلا أسديتني خدمة وذهبت بدلا عنه ؟ لا اريد ان افقد وظيفتي اذا غضب مني فهو يملك نصف المستشفى .

قلت له بلهفة : وهل سيسمح لي ان احج ؟

فاجابني بالموافقة فقلت له اني ساذهب معه ودون اي مقابل مادي ، وكما ترى فقد حججت وباحسن مايكون عليه الحج وقد رزقني الله حج بيته دون ان ادفع اي شيئ والحمد لله وفوق ذلك فقد اصر الرجل على اعطائي مكافئة مجزية لرضاه عن خدمتي له وحكيت له عن قصة المرأة المسكينة فأمر بان يعالج ابنها في المستشفى على نفقته الخاصة وان يكون في المستشفى صندوق خاص لعلاج الفقراء وفوق ذلك فقد اعطى زوجها وظيفة لائقة في احدى شركاته .

الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف والعمر اطويل

أول ما يواجهنا في الحديث عن الإمام المنتظر - عجّل الله تعالى فرجه – مسألة العمر الطويل فهل يعقل أن يعيش إنسان أكثر من أحد عشر قرناً من الزمن؟!

ولولا انشدادنا للمألوف، وابتعادنا عن تحكيم العقل، أو سعة الإطلاع في هذا الصدد لما كان يوجد أي مبرر لطرح هذا التساؤل والإجابة عنه!

وبالنسبة للمسلمين الشيعة والسنة يكفينا التذكير بنبي الله عيسى عليه السلام حيث إنه بإجماع المسلمين حي يرزق، وعمره عليه السلام قارب الألفين من السنين، ولا يزال حياً إلى الآن، وكذلك إدريس النبي وقد رفعه الله إليه.

فكيف إذا تخطينا ذلك إلى نبي الله نوح عليه السلام الذي ورد في حديث معتبر أنه عاش ألفين وخمسمائة سنة، ثمانمائة وخمسين منها قبل النبوة. وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، وسبعمائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصّر الأمصار وأسكن أولاده البلدان. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق عليه الرحمة / ٥٢٣، البحار ٦ / ٣١٤، والمسلمون يجمعون على عمره الطويل عليه السلام، نعم قد يختلفون في تحديد سنيّه التي هي ألف على أقل تقدير ، كما في المعارف لابن قتيبة / ٢٤ .

وكذلك الخضر عليه السلام، وكل هذه الشواهد مما أجمع عليه المسلمون، بل هي من صلب المسلّمات لديهم، وجزء من معتقدهم حيث أنها وردت في القرآن الكريم إجمالاً.

والشواهد على مسألة طول العمر لا تنحصر بما تقدم، فالمعمرون المبثوثة أخبارهم في كتب التاريخ كثيرون جداً، منهم من عاش ألفي سنة أو ألفاً أو ستمائة سنة أو أكثر أو أقل.

بل ذكر في بعض المصادر الشيعية والسنية من عاش ألفين وخمسمائة سنة أو أربعة آلاف سنة.

ولست هنا بصدد ذكر المعمّرين وأخبارهم، وإنما أريد التنبيه على أن هذه الحقيقة مفروغ منها، تناقلتها الكتب عبر القرون. من هذه الكتب على سبيل المثال:

أ – المعارف لابن قتيبة، فقد ورد فيه ص ٤٣ أن فرعون موسى هو فرعون يوسف عليهما السلام عمّر أكثر من أربعمائة سنة وأن نمرود عمّر خمسمائة سنة ص ٢٨ وأن آدم عليه السلام عاش ألف سنة ص ١٩، وبحسب التوراة تسعمائة وثلاثين سنة، وأن شيث بن آدم عليهما السلام عاش تسعمائة واثني عشر عاماً ص ٢٠، وأن الحارث الرائش يقال أنه عاش ألفين وأربعمائة ونيّفاً وخمسين عاماً ص ٦٢٧، وأن « جم » الملك الإيراني المعروف ملك تسعمائة وستين عاماً ص ٦٥٢.

ب – وقد أورد المحدث الكراجكي في « كنز الفوائد » ٢٤٨ – ٢٦٧ أسماء حوالي أربعين معمراً تتراوح أعمارهم بين المائتين والآلاف.

ج – كما تجد قوائم بأسماء المعمّرين في « إعلام الورى بأعلام الهدى » / ٤٧٢ وما بعدها، وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي / ٣٦٤، والغيبة للشيخ الطوسي ٧٦ – ٨٧، وأمالي السيد المرتضى، وفي منتخب الأثر ٢٧٦ – ٤٧٧ استقصاء مما جاء في التوراة حول أعمار آدم وشيث عليهما السلام وغيرهما من المعمرين وينبغي أن نفرق بين أمرين:

أ – أن طول عمر إنسان أمر غير معقول.

ب – أنه أمر غير اعتيادي.

أما الأول فلا سبيل إلى الإعتقاد به، باعتبار أن طول العمر وقع للكثيرين، وكفى بذلك دليلاً ومعقولية.

وأما الثاني فلا ننكره، إلا أن الأمور غير العادية ملء السمع والبصر، ولا يقول أحد من العقلاء إن كون أمر ما غير اعتيادي دليل على عدم وجوده أو عدم صحته. والقرآن الكريم يحدثنا بكثير من الأمور التي تزيد غرابة عن طول عمر إنسان آلاف السنين، ونحن نعتقد بها ونجزم بصحتها، أوليس الإعتقاد بأن الله يبعث جميع من في القبور ويحشرهم على صعيد واحد، أشد غرابة من بقاء إنسان حياً آلاف السنين؟! وغير ذلك مما يزخر به القرآن الكريم.

فهل ترانا نتوقف في هذه الأمور لغرابتها أم أننا نقبلها لأن الغرابة والإستبعاد لا يقويان على مواجهة الدليل؟ بل يرى بعض علمائنا أن لا استبعاد في ذلك أصلاً.

قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة: « لا استبعاد في طول حياة القائم عليه السلام لأن غيره من الأمم السالفة عاش ثلاثة آلاف سنة كشعيب النبي ولقمان عليهما السلام، ولأن ذلك أمر ممكن، والله تعالى قادر عليه ».

الرسائل العشر للشيخ الطوسي / ٩٩

الخميس
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زورونا على الموقع www.alkafeel.net - راسلونا على ...
تحرير: السيد محمد المطار
تصميم وإخراج: احمد السلاوي
مطبعة تيسير/موبايل ٠٧٩٠١٣٠٦٥٤٥